جسر

سورية أسبوعية مستقلة | تصدر عن مؤسسة النهرين للثقافة والاعلام | الثلاثاء ٢٠ آب ٢٠١٣ / العدد الثالث والثلاثون/ السنة الأولى

تحقيق ٤ — الإعدام ذبحاً.. بين إنكاره، ورفض تنفيذه، وشرعيته

تقرير ٧ — من مؤسسات عامة إلى سجون ومعتقلات

هل بِيعَ تاريخُ سوريا القديم أيضاً؟

"حماية الضيوف"

بمزاد حاج حمو

"ليس في هذه البلاد شعب، ثمَّة سكان فقط" هكذا يختصر السياسي اللبناني كمال جنبلاط الواقع المجتمعي في لبنان إبان الحرب الأهلية التي شهدتها البلاد، ليبرهن على حالة التنابذ والاغتراب الشديدين على مستوى الفرد والمجتمع هناك.

الفرقُ شاسعٌ بين مصطلحي السكان والشعب في بقعة جغرافية يطلق عليها الأول(الساكن) لفظة "بلد"جمهورية، مملكة...إلخ، وعليه بالمقابل تقع التزامات عدَّة ربما أكثرها حساسية التقيُّد بالأعراف والقوانين النافذة في البلد المضيف، حيث لا روابط حقيقية تجمع الضيف مع البلاد التي يعيش فيها سوى الرابطة القانونية، مهما قصرت هذه الإقامة أو طالت.، إلا أن هذه البقعة الجغرافية ذاتها تدعى بالنسبة للثاني(المواطن) "وطن"، بالتالي، ثمة واجبات مادية وأخرى معنوية تترتب على هذا الانتماء ناهيك عن الارتباط الروحي بالجغرافيا والتاريخ والمخزون الثقافي للبلاد، والذي يبرهن عليه "ابن الوطن" بالتفاعل الإيجابي مع الأحداث المفصلية والدقيقة التي تحدث في المحيط العام، مؤسساً لحاضره ومستقبله في الوطن بشكل عام.

حال "الأقليات" في سوريا – بعيداً عن تقييم دور المعارضة السياسية والحديث عن عدم قدرتها على احتواء ملف الأقليات بذهنية وطنية، أو العزف الخاطئ والمنسوب للمعارضة المسلحة، على هذا الوتر الحساس في الجسم السوري – يشبه إلى حد بعيد حال "كروب سياحي" كان يتجوَّل في سوريا ولا يجد نفسه معنياً بما يحدث حوله من انعطافات تاريخية، وحرائق تلتهم وجوده ونستعر تحت قدميه في انتظار مكالمة من خارج الحدود أو مناشدة من سفارة بلاده تطلب فيها من رعاياها مغادرة البلاد حرصاً على سلامتهم.

ربما استطاع الراهب الإيطالي "السوري" باولو داليلبو الجمع بين مصطلحي الشعب والسكان أو عَمَد، استناداً للكم الهائل من العنف الذي لمسه يمارَس على البشر المحيطين به من قبل سلطة غاشمة، وأحقية مطالب المنتفضين بالمقابل.. فغلب عنده مفهوم المواطنة على مفهوم الإقامة، وتحمَّل بالتالي قسطاً وافراً من واجباته تجاه مضيفيه ووطنهم..

على الأقليات في سوريا أن تعتبر نفسها، ابتداءً، جزءاً مما يحدث وتنطلق من الوطنية السورية في ممارساتها السياسية وخياراتها المرحلية والاستراتيجية لكي تكتسب صفة "ابن الوطن" أولاً وتحصل تباعاً على حق الحماية في مواجهة من يعتدي عليها ويتغافل عن حمايتها، فلا بد للأقليات أن تتحرر من "شعور الضيف" الذي يعدّ قائمة بسلبيات البلد المضيف فور مغادرته. علينا جميعاً ألاّ نتهرَّب من معركة الحياة الساعية إلى الحرية والكرامة بحجج واهية، فالهروب من معركة الحياة كالهروب من معركة الحق، والهارب من الحق لا حق له في مواجهة الآخرين.

حمص.. ما بعد الهجوم.. ٥

الحسكة.. تموتُ عطشاً ٦

الطَّريق إلى دير الزّور.. ١١

jesr.press@gmail.com | www.twitter.com/jesr_press | www.facebook.com/jesrpress

الجربا: الأسد منهار، ومن يحكم سوريا هم: إيران وحزب الله..

اعتبر رئيس الائتلاف السوري المعارض أحمد الجربا أن الرئيس بشار الأسد "منهار"، وأن سورية باتت محكومة من حليفي النظام إيران وحزب الله اللبناني، وأشار الجربا إلى أن مقاتلي المعارضة باتوا يسيطرون على نحو نصف مساحة سورية، وأن الأشهر المقبلة ستكون "حاسمة".

وقال رئيس الائتلاف لصحيفة "الحياة" السعودية الأحد إن "بشار قاتل ومجرم، وأعتقد إن بالإمكان أن يكون هناك شيء اسمه بشار فهو منهار"، وأكد الجربا أن أي تسوية سياسية للأزمة المستمرة منذ أكثر من عامين لا تقبل بوجود بشار وأي من زمرته، وطالب بأن يعاقب على ما ارتكبه من جرائم حرب ضد الشعب السوري في النزاع الذي أودى بحياة أكثر من ١٠٠ ألف شخص.

كما قال الجربا إن الأسد "الآن لا يحكم سورية، الحاكمون الحقيقيون لسوريا هم الحرس الثوري الإيراني، وبمشاركة قوية من مقاتلي حزب الله".

وتعد طهران أبرز الحلفاء الإقليميين لنظام الرئيس السوري، وهي داعمة لحزب الله الشيعي الذي يقاتل منذ أشهر إلى جانب القوات النظامية السورية ضد مقاتلي المعارضة.

وأضاف الجربا "الآن نحن في مجابهة ومواجهة مع حزب الله، كنا في السابق نجابه جيش النظام المحبط المفلس، وفيه انشقاقات كبيرة، والآن نلتقي مع جيش تقوده إيران وحزب الله والحوثيون (من اليمن)، وهم يقودون المعركة بأسلحة متطورة".

وجدد رئيس الائتلاف مطالبة الدول الداعمة له بتزويد الجيش السوري الحر بأسلحة نوعية، وقال إن "تسليح الجيش الحر بأسلحة نوعية متطورة، سيغير مسار الثورة وسينهيها لمصلحة الشعب السوري"، وتابع رداً على سؤال عما إذا كان المقاتلون قد تلقوا هذا النوع من الأسلحة "في الحقيقة لدينا وعود وأتمنى ألا تتأخر".

هذا ويسيطر مقاتلو الجيش على أجزاء واسعة من شمال سورية وشرقها، إضافة الى مناطق في الجنوب ومحيط دمشق، إلا أن المدن الكبرى ما زالت في غالبيتها تحت سيطرة النظام، باستثناء الرقة (شمال) وهي أول مركز محافظة خرج عن سيطرة النظام منذ مارس/آذار الماضي.

إسرائيل تقصف موقعاً سورياً بعد إطلاق قذائف هاون

قال الجيش الإسرائيلي الأحد إنه أطلق صاروخاً باتجاه موقع لقوات النظام السوريّ في وسط هضبة الجولان مساء السبت، وذلك بعد ملاحظة إطلاق قذائف هاون منه باتجاه الأراضي الواقعة تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي، وقال الجيش الإسرائيلي: إن قوة تابعة له أطلقت الصاروخ، وهو من النوع المضاد للدروع، باتجاه الموقع السوري، الذي لوحظت إصابته، وأكد الجيش في الوقت نفسه أن القذائف التي أطلقت باتجاه الإسرائيليين لم تسفر عن وقوع إصابات.

ونقلت الإذاعة الإسرائيلية أن ١٥ جريحاً من مصابي المعارك في سوريا نقلوا إلى مستشفيات في إسرائيل السبت، ما يرفع عدد السوريين الذين تلقوا العلاج في شمال إسرائيل منذ اندلاع النزاع في سوريا إلى أكثر من ١٣٠ شخصاً.

اشتباكات بين الجيش التركي ومهربين على الحدود المشتركة مع سوريا

صرح الجيش التركي أن القوات التركية ردّت بإطلاق النار على هجوم تعرضت له على الحدود السورية التركية قرب قرية كوساكلي في مدينة ريحانلي، عندما حاول أكثر من ألف شخص، يعتقد أنهم مهربون عبور الحدود التركية.

ويأتي هذا الحادث على الحدود السورية التركية التي تشهد توترات متصاعدة في الشهرين الماضيين في أعقاب مواجهات مماثلة بين الجنود الأتراك ومئات الأشخاص الذين يصفهم الجيش بالمهربين، وعادة ما يعبر اللاجئون الذين يفرون من العنف في سوريا الحدود بأعداد كبيرة، ويقر مسؤولون أتراك بأن مهربين يندسون بينهم ويدخلون البلاد وسطهم في بعض الأحيان.

كما قال الجيش التركي إنه رصد ما بين ٧٥٠ وألف شخص راجلين، ومجموعة أخرى من ١٥٠ شخصاً على ظهور الجياد، ونحو ٤٠ مركبة يشكلون طابوراً يمتد على مسافة ٣٠٠ متر على امتداد الحدود قرب قرية كوساكلي في بلدة ريحانلي بمحافظة هاتاي التركية، وأضاف الجيش إن القوات نشرت مدرعات ودبابات على امتداد الحدود لمنع المجموعة من العبور وأصدرت تحذيرات بالتركية والعربية في محاولة لمنعهم من الدخول.

وتابع الجيش إن قوات الأمن تدخلت بعد ذلك، وبعد أن أطلقت المجموعة الدخيلة ما بين ١٥ و٢٠ طلقة من كوساكلي قام الجنود الأتراك بالرّد بالمثل، ولم يحدد الجيش ما إذا كان المهربون أم القرويون هم من فتحوا النار، بينما أكّد على أنّ المهرّبين لاذوا بالفرار بعد أن تركوا خمساً وثلاثين حاوية بنزين وراءهم.

الأزمة السورية: الوقع الاقتصادي بمخيم الزعتري في الأردن

هوارد جونسون – مخيم الزعتري – الأردن

مخيم الزعتري للاجئين السوريين رابع مدينة من حيث كثافة السكان في الأردن.

يفتح باب معدني لحاوية ليكشف عن مجموعة من الفساتين المطرزة ألوانها أحمر ووردي وأبيض، دخلتُ إلى متجر لفساتين الزفاف يستأجره شاب سوري يُدعى عاطف، فيما ذكرنا بأن الرومانسية قد تزدهر أيضاً حتى في أكثر الأماكن تعاسة.

تجارة وأعمال، مختارات..

يعمل عاطف في مخيم الزعتري للاجئين السوريين في الأردن، وهو بعد موطناً لنحو ١٢٠ ألف شخص ممن فروا من القتال في سوريا، وتقع هذه الحاوية في شارع أطلق عليه عمال الإغاثة اسم الشانزليزيه، نظراً لمئات المحال التجارية والشركات الموجودة فيه.

وقضى عاطف في المخيم أكثر من عام، فاراً من القتال الدائر في مدينة درعا التي تبعد عنه نحو ٣٠ كم في سوريا، وهي مدينة مليئة برجال الأعمال نظراً للتاريخ الطويل من التجارة عبر الحدود مع الأردن.

قال عاطف: "لقد بدأنا ذلك بمتجر لبيع عباءات النساء، وعندما جاءت بعض النساء وقلن إن لديهن حفلات زفاف ولا يجدن فساتين، قمنا بشراء فستانين لتأجيرهما، ثم سارت الأمور بشكل جيد."

ويضيف: "لدينا حفلتان زفاف كل يوم، وهناك أشخاص يأتون من خارج المخيم لاستئجار الفساتين لأنها أرخص هنا، نقدم الفستان للإيجار مقابل ١٠ دينار (نحو ١٤ دولار) سواء كان الأشخاص من داخل المخيم أو من خارجه."

ويقول: "في بعض الأحيان نأخذ فقط خمسة دنانير ممن لا يستطيعون دفع أكثر من ذلك."

ويقدم متجر عاطف مثالاً عن طريقةٍ تحاول من خلالها المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة أن تجعل الحياة طبيعية في المخيم من خلال تشجيع التجارة والخدمات، فإذا حاول البعض إدارة متجر والحصول على أرباح، فإنه سيتحسن الاستقرار في المخيم.

ومنذ افتتاح المخيم العام الماضي، انتشر نشاط السوق السوداء مع ظهور عصابات متنافسيه والتي تحاول السيطرة على مبيعات غير شرعية للسلع الإغاثية وسحب إمدادات الكهرباء الخاصة بالمخيم، ينتظر المهربون في الليل على مشارف المخيم، ويستعدون للاستيلاء على الخيام الخاصة بالمفوضية العليا لشؤون اللاجئين وإمدادات الغذاء، والرجل المكلف بالتعامل مع هذا النوع من التجارة السوداء هو "كيليان كلاينشميت"، الذي عينته الأمم المتحدة ك "عمدة" للمخيم.

منع المهربين

ويعد "كلاينشميت" مخضرماً في مجال العمل الإغاثي، حيث أدار مخيمات للاجئين في جنوب السودان والصومال وكوسوفو، ولكي يقدم لي فكرة حول حجم المخيم، أراني "كلاينشميت" الطريق الذي يحيط بالمخيم والبالغ ٨ كم، ويعتبر هذا الطريق خط الدفاع الأول في المعركة ضد التجارة غير المشروعة.

وبينما كان يشير "كلاينشميت" من النافذة، تصاعدت أعمدة الدخان الأسود من جرافات تسوي تلالاً من التربة، وأوضح قائلاً: "نغلق طرق الإمدادات على المهربين."

ولفت كلاينشميت انتباهي إلى علامات مستطيلة فوق الأرض، وهي مساحات من الأراضي رسمت حدودها عصابات متنافسة بزعم امتلاكها لها، وهذا سوق غير رسمي يزدهر أيضاً في المخيم، وفي منتصف الطريق، كان هناك ما يشبه العربة تقوم مجموعة من الرجال بدفعها، وعندما اقتربنا، اتضح أنها حاوية معدة للسكن ويتم سحبها على عجلات.

جاءت هذه الحاويات في الأغلب كتبرعات من دول خليجية، وتبيعها أو تمتلكها عصابات تقوم إما بالتجارة فيها بالمخيم، أو تقطيعها وبيعها خارج المخيم.

يشرح كلاينشميت كيف أنه مع استمرار المعارك في سوريا، يتنامى شعور بأن المخيم سيستمر لفترة طويلة، ويقول: "يتم الآن بناء منازل ذات أرضيات إسمنتية، مع إدخال المياه وإقامة مراحيض ومطابخ." ويتابع: "حتى أن بعضهم لديه نافورة ليظهر أن الأمر يشبه الوطن تماماً."... ولكن كيف ينوي كلاينشميت التعامل مع السوق السوداء المزدهرة في المخيم؟

يجيب: "نحن الآن نقول، يا إخوة، إنه قد حان الوقت لدفع ثمن الكهرباء، لأنني راجعت الأمر مع عدد قليل من أصدقائي من الذين يقومون بشوي الدجاج، وقال لي أحدهم إنه يبيع مائة دجاجة في اليوم." ويتابع: "وبالتالي فهو يربح ما يعادل دولارين في الدجاجة الواحدة، ويربح بذلك ٢٠٠ دولاراً يومياً." ويضيف: "هل سأقطع عنه الكهرباء؟ بالطبع لا، لكنني سأخبره أنني سأمده بالكهرباء لكن عليه أن يدفع، وهم مع ذلك يبتسمون ويقولون نعم."

وقبل انتهاء يوم زيارتي لمخيم الزعتري، قمت بجولة أخرى سريعة في شارع الشانزليزيه، ووجدت أباً وطفله يبيعان الحلوى المغزولة ويستعدون لأمسية تجارية نشطة.. وفجأة بدأ مجموعة من الشباب في الركض، فبعد يوم طويل وحار، اندلع شجار بينهم وبين قوات الأمن الأردنية التي تؤمّن المخيم، وسُمع صوت قنابل الغاز المسيل للدموع وهي تصطدم بالأسطح المعدنية للمخيمات، ولم يُصب أحد بجروح خطيرة، لكن الحادث بقي في الذاكرة...

بالرغم من بذل المفوضية العليا لشؤون اللاجئين جهوداً كبيرة لجعل الحياة طبيعية في مخيم الزعتري، إلا أن شارع الشانزليزيه بالمخيم لا يزال بعيداً عن قرينه في الاسم بفرنسا كمكان لممارسة الأنشطة التجارية.

منظمة الفاو تتوقع انخفاضاً أكبر في أسعار الغذاء في الأشهر القادمة

قالت منظمة الأغذية والزراعة (فاو) التابعة للأمم المتحدة إن أسعار الغذاء في العالم قد تنخفض أكثر في الأشهر القادمة، بعد أن وصلت إلى أدنى مستوى لها منذ أكثر من سنة في يوليو/تموز.

وكانت أسعار الغذاء قد ارتفعت في صيف ٢٠١٢ بسبب موجة الجفاف التي ضربت الولايات المتحدة، بيد أن تحسن التوقعات في مجال إنتاج الحبوب في ١٤/٢٠١٣ قادت بالاتجاه الآخر نحو انخفاض الأسعار.

وقال "عبد الرضا عباسيان" الخبير الاقتصادي في الفاو الأشهر القليلة الماضية، وإن الطقس الذي كان جيداً جداً في العديد من الحالات، يعطي أملاً بإنتاج أعلى".

وأضاف: إن التوقعات الجيدة لإنتاج محصول الذرة في الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين ومنطقة البحر الأسود قد يقود إلى انخفاض آخر في الأسعار في هذا الموسم، وأسعار الغذاء قد تواجه ضغوطاً باتجاه انخفاض أكبر إذا قوي الدولار الأمريكي، فقوة الدولار تنعكس في سوق تداول السلع، وتجعلها تبدو أغلى بالنسبة لمتداولي العملات الأخرى.

الإعدام ذبحاً.. بين إنكاره، ورفض تنفيذه، وشرعيته

حسين الغجر – حلب

لا يمكن لمتابع المجريات التي تمر على سوريا وخاصة في الأشهر الأخيرة أن يتجاوز ظاهرة كثيراً مع أربكت الرأي العام ليس العالمي فقط بل الداخلي أيضاً وذلك من خلال ظهور تسجيلات فيديو لعمليات إعدام بالسكاكين، قيل إن من ينفذها هم مجموعات إسلامية مقاتلة في سوريا، لذلك كان لابد من البحث والدقيق في هذه الظاهرة.

حدثت معظم عمليات الإعدامات بالذبح، والتي لم توثّق في ريف إدلب، مع التأكيد من قبل الكثيرين أنها لا تكاد تذكر بأعدادها القليلة، لكن مشكلة ترويج مقاطع القتل هذه إنما تنتشر كالنار في الهشيم لبشاعتها وغرابة القيام بها.

الذبح بين التشريع والتطبيق:

في لقاء لجسر مع مجموعة من ممثلي الفصائل العسكرية الإسلامية، وفي ردها على هذه الإعدامات قال "أبو حمزة" وهو قائد في الحركة الإسلامية للدعوة والجهاد والتي تقاتل في مدينة حلب:

"إذا نظرنا لتطبيق الشرع فلا ضير في ذلك، فالقصاص مفهومه واضح، قال تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)لذلك لا مشكلة لدينا في تطبيق الشرع، فالنظام وجيشه وشبيحته قتلوا الأطفال والنساء، وأحرقوهم، وقطّعوهم، ونحن بالطبع لن نقابل السوء بالسوء، ولكن للأحكام في الإسلام شروط ومحددات لا يجوز الخروج عنها، وبالنسبة للفيديوهات التي تنتشر بين فترة وأخرى أنا لا أثق بها، وذلك لعدة أمور منها طريقة القتل، فشرْعُ الله رحيمٌ حتى في حدوده ولا يوجد تفسير لطريقة القتل التي ظهرت منذ فترة، ولعل أبرزها هو ما قامت به مجموعة تدعى بمجموعة –أبي البنات– والتي ترى فيها عملية ذبح وحز بطريقة لا يمكن لأحد أن يتقبلها، فقطع الرأس لا يجوز إلا بضربة واحدة، ولذلك ربما كان من نفذها يريد تشويه صورة المجاهدين، وربما كان مدفوعاً من جهة لا تريد الخير لا للثورة ولا لأحد، والواقع يستوجب علينا استبدال الطرق، فالسيف لم يعد موجوداً لذلك فنحن لا نقبل هكذا إعدامات، وكذلك نحن نؤكد أنه لا بد من وجود محاكمة علنية يطلع عليها الكل، وذلك لعدة أسباب أولها كي يعتبر الناس ويعلموا ما ذنب المحكوم، وحتى نغلق باب الإشاعات والترويج لأشياءٍ لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة، وهو منها براء".

أما "أبو عمار" وهو مقاتل منذ بداية الثورة السورية فهو يؤكد على ضرورة التشديد بالأحكام وتطبيقها، وذلك لتجنيب البلد والناس المزيد من القتل والإجرام، ويزيد على ذلك بأنه لا بد من إرهاب العدو الذي قتل حتى الآن حوالي ١٥٠ ألف طفل ورجل وأم.. ويعقب "أبو عمار" على مشكلة نشر مقاطع الفيديو المصورة لعمليات الذبح والتنكيل بأنه أمر لا يمكن تقبله، ويتساءل: "لماذا تنتشر هذه المقاطع في أوقات تسبق انعقاد مؤتمرٍ من أجل سوريا،وهي قضية هامة يريد أن يقرر فيها المجتمع الدولي" ويجيب "أبو عمار" عن تساؤله بأن الأمور واضحة، فهناك أعمال تقوم بها مخابرات النظام، وكذلك قد تكون العديد من المخابرات متورطة فيها، لتغير الرأي العام تجاه الثورة السورية، ولتخويف العالم من الإسلام، ولذلك نحن ندعوا من تريد من المنظمات الحقوقية أن تقوم بمشاريع مشتركة، ونحن مستعدون لذلك، ولتراقب المحاكم الموجودة، وتوثق الحالات التي تحدث فيها تجاوزات، وهذا طبيعي بالنسبة للكم الهائل من الموت الذي يصبّ على شعبنا وبلدنا، ولكن للأسف يكتفي العالم بالتنديد وبناء آرائه على فيديوهات من هنا وهناك دون أن نعلم هل فعلاً ينتمي أولئك الذين يظهرون في الفيديوهات إلى الثورة؟، وهل انتشار هكذا مقاطع في هذا التوقيت بالذات أمر طبيعي؟، هذا ما نسعى إلى إعلام الرأي العام به ليعرفوه، لكننا لم نصل إلى ذلك حتى الآن.

الحاج أبو الدرداء، قيادي في تجمع كتائب الكفاح يقول: أنا مع عملية الإعدام ذبحاً لما لها من نتائج ترهب العدو، ولكن بشروط واضحة، وهي أن تكون المحاكمة علنية، وبوجود أشخاص شرعيين عدول ويوثق برأيهم، وكذلك التأكد من الدلائل على المحكوم، أي أن يخضع لتحقيق كامل وشفاف، وفي الحقيقة حكم الإعدام هو حكم عالمي، ولا بد للظالم أن يدرك أنّ هناك أفعال إذا ارتكبها سيذبح عليها، وهنا أسأل العالم: من يقتل الأطفال، ماذا يستحق أن يكون حكمه؟؟ من يهدم البيوت فوق الآمنين، ماذا يمكن أن يكون حكمه؟؟ من يغتصب النساء، ماذا يمكن أن يكون حكمه؟؟ وإذا كانت المنظمات العالمية الحقوقية تتابع هذه الحالات متناسية كل ما حدث ويحدث من موت على مدار سنتين، فهناك مشكلة لديهم وليس لدينا، لقد قضينا أكثر من عام ونحن نناشد العالم أن يُوقفوا بشار وعصاباته، ولم نلقَ إلا التنديد والكلام الذي لم يمنع القتل عنا، لذلك فقد تركنا العالمُ نواجه أعتى آلات القتل في العصر الحديث، ولذلك فإننا سنحاكم كل من قتل ودمر واغتصب بما شرع الله دون خوف أو وجل من أحد، وليبتعد العالم عن شماعة الإرهاب، إن وُجد إرهاب فهو نتيجة غياب العدل في العالم، ونحن ماضون إلى أن يأتي نصر الله وهو قريب بإذن الله.

من الواضح أن معظم مقاطع الذبح والتنكيل وتشويه الجثث المنتشرة على صفحات الانترنت تهدف إلى بث الفتنة الطائفية والمذهبية والعقائدية والعرقية في البلاد، خاصة من خلال عناوين هذه المقاطع التي تشير — زيفاً– إلى ذبح فئةٍ دينيةٍ أو عرقية لفئة أخرى، ولا شكّ أنه ثمّة أجندة دولية اشتركت فيها وسائل الإعلام تهدف إلى نشر مثل هذه الصور، فموقع اليوتيوب مثلاً الذي تنتشر فيه معظم هذه المقاطع، كان في السابق يحذف كل مقطع يشير أو يدعو أو يروّج للعنف، حتى لو كان هذا العنف موجّهاً للحيوان، لكن هذا الموقع الالكتروني ذاته بات صامتاً أمام الآلاف من الفيديوهات التي تروّج وتنشر وتدعو إلى العنف في سوريا!، مع العلم أن غالبية هذه المقاطع تم تصويرها في دول أخرى غير سوريا، كالعراق مثلاً.. والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: ماذا بعد هذه المقاطع؟ هل سيدرك السوريون بأصالتهم وطباعهم الحميدة أنّ مثل هذه الصور تسهم في نشر الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، وتجعل البلاد ساحةً مفتوحة أمام ويلات الحرب الأهلية، أم أنّ صوت الرّصاص يعلو على صوت العقل ؟.

حمص.. ما بعد الهجوم..

المناطق المهجورة.. أطلالُ الذّكريات الحارقة..
المناطق الثائرة.. جبال الصمود.. ونزيفٌ لا ينضب..
المناطق الرمادية.. لا أرى، لا أسمع، لا أتكلّم..

نوار الحمصي

في حمصَ تتوقف الابتسامة عن محاكاة الحياة فيطعنك الصمتُ المطبقُ على الكائنات.. على الأمكنة والنفوس على حدٍّ سواء.. إنه سباق النسيان علّ الحياةَ تستمرّ في جريانها البطيء على الأقل في عينيّ طفل، أو جناحي حمامةٍ في سماءٍ غائمة.. أو مغبرّة أحياناً..

كلُّ شيءٍ هنا يشيرُ إلى حربٍ هوجاء دارت رحاها بين أبناء الوطن الواحد، ولم تضع أوزارها بعد..

أين يهدمُ النّظام في حمص؟

بابا عمرو.. المدينة – سابقاً– تطلّ عليها من المساكن الغربية بالقرب من جامعة البعث.. فتراها مقيّدة فارغةً جوفاء وحزينة.. كزرقاء اليمامة في أسرها الأبدي.. لا أرواح بشرية فيها.. تخشى إطالة النظر إليها خوفاً من قناصة النظام المتخفين في جنباتها، فحتى المركبات لا تمرّ بجانب هذه المدينة الفارغة.. ولا يوجد بيت ليس فيه دمار أو خراب.. إما تهدّم سقفه أو جُعلت في جدرانه فتحات كبيرة كجراح هذا الوطن العميقة .. بعضُ سكّان بابا عمرو انتقلوا إلى المناطق المجاورة (الشمّاس – الادّخار– الإنشاءات..)،كذلك إلى قرى في ريف المدينة، أغلبية هؤلاء من الموظّفين الذين لا يقدرون الابتعاد عن المدينة خشية خسارة وظائفهم(المصدر الوحيد لرزقهم)، من هؤلاء (س) موظف حكومي، قرّر البقاء في حمص، نزح بعائلته من بابا عمرو إلى بلدة "فيروزة"، ويداوم في عمله في جامعة البعث، يقول:

– لم أشأ السفر بعيداً لأنّني لا أضمن أن أجد عملاً في المكان الذي أسافر إليه.. أنا أعيل عائلة ومجبر على البقاء هنا حتى لا أخسر وظيفتي، كنت ساكناً في بابا عمرو.. ولسوء الحظ وظيفتي بالقرب من مدينتي المدمّرة وقلبي يتقطع على ذكريات المدينة التي عشت فيها، المعاناة مستمرة في داخلي لأنّي على موعدٍ مع مشهد الدمار يومياً!

من العائلات الحمصية من اضطرت إلى النزوح بعيداً، والإقامة في دمشق أو المحافظات الشرقية، أو خارج البلاد، هذه الحالة لا تنطبق على بابا عمرو وحدها وإنما تبعتها الخالدية، ومناطق من الإنشاءات، وبستان الديوان، والحولة، والوعر، وغيرها من القرى والمناطق المشتعلة.. ولا ننسى القصير التي استباحها عناصر حزب الله اللبناني بإيعازٍ من النظام ودعمٍ إيرانيٍّ فاضح.. بعض المناطق لا تزال مشتعلة وصامدة في وجه طائرات النظام ومدافعه التي تنطلق من الأحياء المدنية المؤيدة أو الصامدة لتضرب الأحياء المطالبة بالحرّية.. فقد قصف النظام بابا عمرو من المساكن الغربية والإنشاءات، وقصف الخالدية بالطائرات، فضلاً عن المجازر التي ارتكبتها قواته البرية وشبيحته هنا وهناك، لتبث الفتنة الطائفية والإرهاب في القرى والبلدات والأحياء المعارضة لسياساته الدكتاتورية.. وزجّ بعشرات الآلاف من الأحرار والحرائر في السجون والمعتقلات، معذّباً وقاتلاً ومغتصباً، لاجئاً إلى سياسة الأرض المحروقة.. في الوقت ذاته الذي دعم فيه الأحياء المؤيدة من طوائف معيّنة مستخدماً سياسة العصا والجزرة في تفريق شمل السوريين، فلاحظوا ماذا فعل ؟؟

أين يبني النظام في حمص؟

لأنّ منطق العصا والجزرة يفرض نفسه على سياسة النظام في حمص الثورة، فإنّ المناطق الرمادية الهادئة التي تقف على الحياد من الثورة، أو تعجز عن التصريح بمطالب الحرية، تحظى بدعم النظام اللا محدود، ويتغاضى النظام في هذا المناطق النظر عن جميع حالات التهريب، والفساد، والغشّ، والمتاجرة بالحشيش، وبالنّساء.. وغالباً ما ينتشر في هذه المناطق المدعومة بضائع مسروقة من مناطق منكوبة، ساهم النظام في سرقتها ونقلها إلى مناطق مؤيديه دعماً لهم، من جهة، وضرباً للمدنيين المعارضين من جهة ثانية، ونشراً لعوامل الفتنة والحرب الأهلية من جهة ثالثة..

من هذه المناطق، الزّهرة، ومخيّم الفلسطينيين المقابل لبابا عمرو، ففي هذه المناطق توجد البضائع المهرّبة، والنظامية بأسعارٍ زهيدة، ويختلف الناس في تأويل سبب رخص هذه المواد، فيرى "محمود.م) – طالب جامعي من محافظة الحسكة يدرس في حمص– أنّ البضائع التي تباع بأسعار زهيدة هي من المساعدات التي جاءت إلى السوريين المنكوبين في حمص، فقام النظام بتوزيعها على مؤيديه الذين قاموا بعرضها للبيع في الأسواق..

لكنّ (مروان.د) طالب جامعي من محافظة إدلب، يدرس في حمص، يقول: "النظام هو من جلب هذه المعونات أو المواد الغذائية وغيرها إلى هذه المناطق على حسابه، وباعها بأسعار رخيصة جداً، فهو يدعم مؤيديه للحفاظ على هدوئهم".

وأيّاً كان السبب فإن حمص العدية (عاصمة الثورة السورية) عانت حروباً فظيعة وليس حرباً واحدةً أتت على الأخضر واليابس فيها، فقلت النساء والأطفال، وشرّدت الآلاف من العائلات الحمصية، ففي بستان الديوان لم تبقَ عائلةٌ واحدة، ونزحت جميعها إلى ريف حمص بعد أن شهدت المنطقة أعنف المواجهات بين الجيش الحر، وقوات النّظام التي قامت في الأخير وبعد أن فقدت السيرة على المنطقة بدكّها براجمات الصواريخ، وقصفها جوّاً، الأمر الّذي أدّى إلى تدمير معظم البيوت ونزوح جميع من بقوا على قيد الحياة..

اليوم لا تزال حمص مقطّعة الأوصال بالحواجز الأمنية التي شدّدت قبضتها العسكرية على البلاد، وأرهبت الناس أيّما إرهاب.. حمص اليوم أفشلت مخططات النظام الرامية إلى نشوب حرب أهلية في البلاد، لكنّها في الوقت ذاته تعاني –خاصة في المناطق الثائرة– من نقص شديد في الطعام ومياه الشرب، وانقطاع مستمر للكهرباء وصل في الفترة الأخيرة إلى ستّ ساعات يومياً على الأقل، بينما عرف معظم الموظفين في ريف حمص عن أعمالهم بسبب صعوبة التنقل، وارتفاع أسعار المواصلات.. الدولة من جانبها تقدم عروضاً خجولة للإبقاء على توازن الأوضاع الاقتصادية بين مؤيديها، وتوفير المستلزمات الأساسية للحياة لهم..

تبقى الأسر الحمصية الثائرة والنازحة في الخارج والداخل معاً في انتظار المشيئة الإلهية في قلب الموازين في المدينة التي استباحها شبيحة النظام، هذه الأسر تترقب الأوضاع وتتحمل عبء العيش بلا أدنى مستويات المعيشة في سبيل انتظار الثوار الّذين انشغلوا في الفترة الأخيرة في جبهة ريف دمشق.. حمص التي قدّمت كلّ هؤلاء الشهداء، وهذه التضحيات الجسيمة لن تركع أبداً لآلة القمع التي لم توفّر وسيلة من أجل كسر إرادة شعبٍ لا يُقهر..

الحسكة.. تموتُ عطشاً

محمد حسّون – الحسكة

تعرضت الحسكة على مدى سنوات لموجات طويلة من الجفاف، لكن هذا الصيف مختلف، حيث طال الجفافُ الإنسانَ ذاته بسبب اتّحاد الجفاف مع الظروف الصعبة التي يعيشها الناس في الحسكة وريفها، وتعيش مدن الحسكة والقامشلي والشدادة أزمة مياه شرب حقيقية ناتجة عن توقف عمل مضخات آبار مياه الشرب بالنسبة للمدن والقرى التي فيها آبار، بينما توقف الباعة الجوالون عن العمل لأسباب عدة لعلّ أهمّها هو غلاء المحروقات.

والزراعات –كالإنسان في الحسكة– في خطر حقيقي خاصة الأراضي التي تعتمد على المياه السّطحية أو على آبارٍ تعمل على الطاقة الكهربائية، كما أن المواشي التي تحتاج الماء والنبات تفتات به، وكل هذا متوقف في الحسكة على الأنهار والأودية التي تشهد هذه الأيام جفافاً تاماً بالتزامن مع توقف مشروع جر مياه الخابور إلى الحسكة بسبب توقف الآبار المحفورة على سرير الخابور في رأس العين عن العمل، ومن الممكن أن يكون لذلك تأثيرٌ كبيرٌ على كلٍّ من المنظومة البيئية والزراعة في المنطقة حيث جفت الأودية وتقلصت مساحات الزراعة واختفت الأشجار.

وتحتل محافظة الحسكة المرتبة الأولى من حيث الإنتاج الزراعي للمحاصيل الاستراتيجية من القطن والقمح حيث يبلغ في بعض السنوات الـ ٥٠٪ من إنتاج سوريا من هذه المحاصيل في المواسم الجيدة.

وعلى الرغم من أن فترات الجفاف قبلاً استمرت لسنوات، إلاّ أنّ هذه الفترة قد تكون كفيلة بإلحاق أضرار هائلة بالمزروعات، وبالتالي تنعكس على الثروة الحيوانية ومن ثم على سكّان الريف، هذا وكانت موجات الجفاف العامل الرئيس في هجرة السكان من ريف الحسكة الجنوبي، ومن منطقة جبل عبد العزيز إلى العاصمة دمشق والمحافظات الأخرى في السنوات السابقة.

الهطولات المطرية القليلة في الحسكة أدت إلى حدوث الجفاف الذي سبب بدوره نسبة عجز مائي في الأحواض وصل إلى ما بين ٨٢ و ٩٧٪، وحتى في المناطق التي كان تحدث فيها هطولات جيّدة تسبب الجفاف المتعاقب في نضوب العديد من الآبار والعيون، وقد أثرت هذه الحالة حتى على موارد المياه السطحية خاصة الأودية التي تراجع مستوى المياه فيها بشكل ملحوظ حيث جف الخابور وروافده المهمة كالجرجيب الكبير(جومر) والصغير(الأحمر). غ

ويزداد تأثير الجفاف وانعكاساته وتداعياته على الوضع الاقتصاد في المجتمع القروي الذي يحتاج بالسرعة القصوى إلى تلبية احتياجاته الآنية لسكان الريف من الماء الصالح للشرب وتوفير وسائل لنقلها أو تأمين وصول الكهرباء.

انعدام الزراعة التكثيفية على جانبي الخابور وروافده بسبب جفاف النهر

شح المياه قتل الزراعة في ريف الحسكة، فبدت الآثار التي تعرض لها النشاط الزراعي بشكل واضح على المزارع والمحاصيل، وظهرت مشكلة الري غير المنتظم وإقلاع المزارعين عن زراعة بعض المحاصيل التكثيفية، وتخفيض مساحة المحاصيل الصيفية وتحالفت أسباب كثيرة مع جفاف الأنهار والمنابع المائية مثل أزمة المحروقات وغلاء المواد الأولية الزراعية.

وفي هذا السياق يقول "أبو حسين" وهو فلاح في ريف رأس العين، وهي المنطقة التي تكثر فيها الزراعات التكثيفية: لم نعد نزرع الذرة والبطيخ " الدبشي" بسبب المصروف المرتفع وجفاف الخابور وروافده تماماً.

وكان لتزايد معدلات الجفاف أثرها الكبير على الأشجار المثمرة التي تعرضت للجفاف، وانقرض معظمها في الشتاء لاستخدامها في التدفئة، وجاء الجفاف ليقتل ما سلم من فأس الحطاب..

الحسكة والقامشلي تموتان عطشاً

تشهد مدينة الحسكة شحاً كبيراً في مياه الشرب منذ أسابيع بسبب انقطاع التيار الكهربائي عن مضخات السد الشرقي وعن آبار مياه /علوك/ التي تغذي مشروع إرواء مدينة / الحسكة/ وناحية /تل تمر/ والقرى المحيطة بها.

وقالت مؤسسة المياه في الحسكة إنه تم تحويل مصدر تغذية مشروع إرواء مدينة الحسكة من آبار علوك إلى بحيرة السد الشرقي من أجل حل مشكلة النقص الحاصل في المياه بسبب انقطاع التيار الكهربائي عن آبار علوك.

أما في القامشلي فذكر سكان المدينة أن وباءً انتشر بين الناس في المدينة سببه تلوث آبار مياه الشرب وتختصر أعراضه بإقياء وإسهال وآلام في البطن مع وهن عام بالجسم، فيما يؤكد السكان أن الآبار ملوثة بمياه الصرف الصحي التي تتسرب بالإضافة لوقوعها بالقرب من مكب القمامة في قرية" نافكر" على طريق عامودا.

وفي هذا السياق تقدم أهالي القامشلي سابقاً بشكاوى عدة إلى الجهات المسؤولة، وشكلت لجاناً شخصت موقع مكب النفايات وأقرت بالخطر على صحة السكان نتيجة تسرب المياه الآسنة الناتجة عن تراكم النفايات من المكب إلى أحواض المياه الجوفية، ويبلغ عدد آبار المدينة ٨٠ بئراً تمّ إيقاف ١٥ بئراً وإخراجها من الخدمة لشدة تلوثها.

يعاني سكان الحسكة البالغ عددهم حوالي ١،٥ مليون نسمة منهم حوالي ٧٠ بالمائة فقراء، من أزمات متراكمة، ومشكلة المياه وخاصة في مركز المحافظة وجنوبها.. وفي ريف الحسكة تضاعفت معاناة السكان بسبب اجتياح الجفاف عشرات المناطق الريفية في الشدادة وتل حميس وجبل عبد العزيز والهول وتل براك وانعدام المياه في هذه المناطق، بالإضافة إلى انعدام شبه كلي لمياه الشرب وعدم جدية المسؤولين في خدمتها سواء من طرف النظام أو من المعارضة.

أخيراً، مدينة الحسكة كانت تعتمد في شربها سابقاً – وبشكل رئيسي– على مياه السد الشرقي وبحيرة السد الغربي المغذي للسد الشرقي القادمة من منطقة ينابيع / رأس العين/ عن طريق قناة مكشوفة(٢–m١) وبطول (٦٤كم)، وبعد انعدام جريان الينابيع في عام ٢٠٠٠ بدأ ضخ المياه بشكل قسري من الينابيع و(١١٦) من الآبار الارتوازية في رأس العين والتي تصب السدين، ثم بدأت مواصفات المياه الفيزيائية والكيمائية بالتغير نحو السوء بسبب تغير مواصفات الطبقات الحاملة لهذه المياه من ناحية، ومن ناحية أخرى التلوث الحاصل في قناة الجر كونها مكشوفة وتمر بعدد كبير من التجمعات السكانية، وعلى المدى القريب وبعد عدة سنوات تصبح غير صالحة للشرب، هذا عدا ما يفقد من الماء بالتبخر والتسرب في طبقات الأرض.

طلع الدّولار، ونزل الدّولار.. حديثُ النّاس في العيد

ريبال الزين – حلب

لعل قضية سعر صرف الدولار في السوق السوداء، والارتفاع الجنوني لأسعار المواد الغذائية والاستهلاكية، الشغل الشاغل للسوريين عامة والحلبيين خاصة وينعكس على أحاديثهم أكثر من التطورات السياسية أو العسكرية أو قرارات تسليح الثوار أو تغيير رئيس الائتلاف أو مجازر الجيش النظامي، فلقد تعرضت الليرة السورية في الفترة الأخيرة إلى انهيار سعر صرفها أمام الدولار، ووصل سعر صرف الدولار إلى ٣٥٠ ليرة سورية، مما أثر بشكل كبير على أسعار المواد الغذائية الأساسية في السوق، فارتفعت بشكل جنوني بما لا يتناسب مع دخل المواطن سواء من الوظائف الحكومية أو العمل الخاص، وذلك في ظلّ ارتفاع نسب البطالة بشكل كبير.

"أبو محمد" القاطن في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة والذي يعمل في محل لبيع المواد الغذائية بالجملة، حدثنا عن معاناته في تأمين لقمة العيش لإطعام أطفاله وأحفاده المقيمين في منزله بعد قصف منزلهم بالمدفعية، فيقول: إن راتبه يبلغ ألفي ليرة في الأسبوع ولا يكفي حتى مصروفاً لطعام عائلته، دون حساب أجرة اشتراك الكهرباء بسبب انقطاعها وفوط الأطفال وحليبهم ومصاريف المنزل الأخرى.

وتابع "أبو محمد": وبعد هذا الارتفاع في سعر صرف الدولار توقفت حركة البيع والشراء بشكل تام تقريباً، فعلبة البسكويت التي كانت تباع بمبلغ ١٢٠ ليرة وصل سعرها الآن إلى ٤٠٠ ليرة، وسعر كيلو الرزّ إلى أكثر من مائتي ليرة، وكيلو العدس إلى حوالي المائة ليرة، وقفزت أسعار الزيوت والسمن إلى أقصى مستوياتها، فتنكة الزيت النباتي وصلت إلى الـ٤٨٠٠ ليرة بينما كانت تباع قبل نكسة الليرة بـ٢٥٠٠ ليرة فقط، مما أسهم في جعل طبخة "المجدرة" من البذخ والترف عند الشعب الحلبي وهذا أثر علينا سلباً حيث اضطر صاحب العمل إلى إغلاق المحل وتسريح العمال وقطع أرزاقهم".

ويبدو أن لا نية للأسعار في الانخفاض رغم استقرار سعر الصرف تقريباً عند مائتي ليرة ونيف، ويضع "رأفت" أحد أصحاب محال بيع المواد الغذائية بالجملة الحقّ في هذا الأمر على تجار الأزمات الذين لا يهمهم سوى مضاعفة ثروتهم في ظلّ هذا الأزمة الإنسانية، فيقول :"أحد التجار – لن أذكر اسمه– عندما ارتفع الدولار رفع أسعاره بحجة ارتفاع سعر الصرف، وبعد هبوطه لم يخفض أسعاره بحجة أنه اشترى تلك المواد بالسعر المرتفع، مع علمي أنه لم يشترِ أية بضائع عند ارتفاع الدولار".

أما "حسام" الذي يعمل "عرّبجي" –وهي مهنة مبتكرة تقوم على نقل البضائع بين مناطق الحرّ والنظام على عربيات لقاء أجرة مادية– يقول:" نخاطر بأرواحنا كل يوم عدة مرات عند العبور من أمام قناصي النظام المتمركزين في القصر البلدي والمشارقة، والقناص لا يفرق بين مدني وعسكري، كل ذلك فقط لإطعام عائلاتنا، فوالدي سُرِّح من العمل بسبب توقف المعمل وهجرة صاحبه خارج البلاد، وفي السابق كنا نأخذ على النقلة الواحدة مبلغ مئة إلى مئة وخمسين ليرة، ولكن الآن نضطر إلى مضاعفة المبلغ بسبب ارتفاع الأسعار، وصدقني أشعر بغصة عندما آخذ المبلغ من الزبون، لكني مضطر لذلك كي أعيش".

وفي ظلّ عجز الثوار مع الفصائل العسكرية على تشكيل تنظيم موحد لإدارة المناطق التي تسيطر عليها المعارضة بفعالية، وبقاء هذه المحاولات مقتصرة على أفراد، وعدم القدرة على تعميمها، ستبقى الأوضاع على ما هي عليه،وستسير إلى المزيد من العشوائية، مما يقودنا إلى أحد الحلين، إما الإضراب العام عن شراء مادة معينة لمدة من الزمن حتى تعود إلى ما كانت عليه سابقاً، كما حدث في الأرجنتين ذات مرة، حيث اتفق جميع التجار على رفع سعر طبق البيض، فما كان من المواطنين إلا أن تخلو عن شرائه لأيام عديدة، كجزاء على رفع السعر بدون مبرر، وكسد البيض وكدس في المستودعات، حتى اضطر التجار أنفسهم إلى تخفيض سعره إلى نصف ما كان عليه قبل رفع السعر.

وكما نجحت الإضرابات السلمية وإغلاق المحال التجارية في زعزعة أركان النظام وهزّ اقتصاده، فالمساهمة في الإضراب عن شراء مادة معينة من قبل الجميع سوف يجبر التجار على إرجاع الأسعار إلى حقيقتها خوفاً من كسادها في مستودعاتهم، ففي نهاية الأمر هذه الأزمة وهمية ومن صنيعة أصحاب رؤوس الأموال المستفيدين من رفع الأسعار جراء ارتفاع الدولار وعدم إرجاعها إلى حقيقتها.

أو الحلّ الثاني وهو تشكيل مؤسسة استهلاكية ذات رأس مال كبير، تقوم بشراء كميات كبيرة من المواد الغذائية من مختلف الأصناف (رز – سكر – لحوم – خضروات.... الخ) وطرحها للبيع في مراكز تابعة للمؤسسة بعد وضع مربح بسيط عليها لتوفير أجور العمال والبائعين والنقل، عندها سوف تشكل مراكز هذه المؤسسة جذباً للمواطنين بسبب السعر الرخيص مقارنةً مع أسعار هذه المواد الغالية في الأسواق، وذلك بسبب الربح البسيط للمؤسسة فيقتصر على نسبة من ١٠–١٥٪ بينما نسبة الربح التي يضعها بعض التجار تصل إلى الـ ١٠٠٪ كما أسلفنا الذكر سابقاً، وسيدفع ذلك تجار الأزمات إلى تخفيض أسعارهم خوفاً من كساد بضائعهم، ويبقى هذا الأمر رهن جهات الإغاثة التي تملك الدعم المادي الأكبر، وهي القادرة على توفير مثل هذه المؤسسات التي تخدم الجميع.

هل بِيعَ تاريخُ سوريا القديم أيضاً؟

مجموعة من أهم مكتشفات مدينة إيمار السورية في متحف أرض التوراة في "إسرائيل"!

رند عبد الكريم

في مقالة له تحمل عنوان "دراسة في الفن" –نشرها في موقعه الخاص– يتحدث الكاتب الإسرائيلي "إسرائيل شامير" عن عائلة "ليون ليفي" الشهيرة كإحدى العائلات اليهودية التي استطاعت كسر المحظور في الديانة اليهودية، ودخول عالم الفن ورسم الوجوه الآدمية، وصنعت لها نفوذاً وسلطة، تمكنت من خلالهما نقل التحف من كنائس أوروبا إلى المتاحف، وهو نفوذ يتضح بالبحث والتدقيق، ويمتد ليشمل وزارة الثقافة والآثار السورية، وملفاتها السرية، فعائلة أو بالأحرى، مؤسسة "ليون ليفي"، الرئيس السابق للمنظمة اليهودية الصهيونية الأميركية، لها اسم آخر في ملفات وزارة الثقافة والآثار السورية، تنطوي عليه اتفاقيات التعاون المبرمة مع الاتحاد الأوروبي، حتى منتصف عام ٢٠١١، للتنقيب في المواقع الأثرية السورية، ونشر نتائج التنقيب في مؤسسات النشر الأميركية والإسرائيلية وغيرها، ومنها مؤسسة نشر "ليفي" نفسها التي تحمل اسم مؤسسة "ليفي وايت"، والتي –حسب العقيدة اليهودية– تخدم نفسها وبهوديتها و"يهودية إسرائيل" معاً.

توفي "ليون ليفي" عام ٢٠٠٣، مطمئناً إلى استمرار مؤسسته في "نشاطها السوري" بعد أن ورثتها زوجته "شيلي وايت" وخمسة آخرون شكّلوا معها مجلس أمناء مؤسسة "ليفي"، وجل أولئك لهم نشاط علمي في المواقع السورية، وعلى رأسهم "شيلي" رئيسة الأصدقاء الأميركيين لمؤسسة "الآثار الإسرائيلية" في "أورشليم"، و"فيليب كنغ" مدير مؤسسة ليفي وايت للنشر، المختص بـ "إسرائيل التوراتية"، والمتعمق في تنقيبات معبد "عين دارا" في ريف حلب، الذي اعتبره بوقاحة "ثالث أهم اكتشاف توراتي" لعام ٢٠٠٩، ثم "آني كابوت" الباحثة في متحف "اللوفر" ورئيسة قسم آثار الشرق الأدنى القديم فيه، والتي أجرت في سوريا تنقيبات في موقع أوغاريت الساحلي وموقع إيمار/مسكنة بالقرب من حلب، وجهدت عام ٢٠٠٥ لربط أوغاريت السورية بالتوراة اليهودية، من خلال مؤتمر عقدته جامعتا "شربروك" و"أدنبره"، وقد حضره وصادق على نتائجه مسؤول كبير في وزارة الثقافة السورية هو مدير التنقيبات!.

ولا يتوقف الحضور القوي والمريب لـ"ليفي" في مجال الآثار السورية عند هذا الحد، ولا تعاونه مع وزارة الثقافة والآثار السورية، التي دأب مسؤولوها منذ مطلع عام ٢٠٠٠ على إقامة المعارض الأثرية السورية في متحف "الميتروبوليتان"، في مدينة نيويورك.. القاعة التي تحمل اسم "ليفي"، تضم بين معروضاتها تُحفاً أثرية لم تُعرض في بلدانها الأصلية، ومنها تحفٌ سورية ضمها "ليفي" إلى مجموعته الخاصة وأهدى بعضها إلى متحف "الميتروبوليتان" دون "لفت عناية أصحابها الأصليين!. على أن كل ذلك لا يكاد يكون مثار ريبة، أمام قيام مؤسسة" ليفي" بأنشطة على الأراضي السورية، لمدة اثني عشر عاماً دون أن يثير ذلك ريبة أو حفيظة الحكومة السورية، ونفذت خلالها اثني عشر مشروعاً توزّعت بين التنقيب الأثري والنشر، أشرفت عليها المؤسسة الصهيونية المذكورة وموّلتها، منها مشروع دراسة ونشر وعرض مئات القطع الأثرية المكتشفة في مدينة أوغاريت السورية الساحلية، بالتعاون بين مؤسسة "ليفي" ومتحف "اللوفر" عامي ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ومشروع التنقيب والنشر الخاص بـ "تل العشارة" الواقع في الفرات الأوسط بسورية عامي ١٩٩٩/٢٠٠٠، بقيادة "جورجيو بوتشيلاتي"، ومشروع "تل المريبط" الفراتي السوري بقيادة "جان إستيفيز" عامي ٢٠٠٠/٢٠٠١، ومشروع "تل البنات" الفراتي السوري بقيادة "آني بورتر" عامي ٢٠٠٤/٢٠٠٦، ومشروع "بصرى" في محافظة درعا بقيادة "جاكلين دنزر" عامي ٢٠٠٧/٢٠٠٨، ومشروع "إيمار" بالقرب من حلب بقيادة "جان كلود مارغرون" عامي ٢٠٠٣/٢٠٠٤، ومشروع "دورا أوروبوس" في دير الزور بقيادة "بيير لوريش" عامي ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ومشروع "تل بيدر" في الحسكة بقيادة "آني بورتر" عامي ٢٠٠٧/٢٠٠٨، ومشروع "تل النبي هوري" شمال حلب بقيادة "جانين عبد المسيح" عام ٢٠١٠. وقد أثبتت عملية البحث، أن أنشطة مؤسسة "ليفي" ذات البعد الأثري في سوريا هي أنشطة مرتبطة بأبعاد جيوسياسية في المنطقة، كون المؤسسة المذكورة داعمة لليهودية العالمية، وحلم "إسرائيل الكبرى"، وقد ظهرت على سبيل المثال وثيقة مؤرخة في ٢٤ يونيو ٢٠٠٢، تشير إلى شروط قدّمها "ليفي" لـ "جورج بوش الابن" تتضمن ضرورة تخلّي الفلسطينيين عن "الإرهاب" لكي يحصلوا على دولة، وفضلاً عن ذلك فمشاريع "ليفي" في سوريا لم تتضارب في الهدف مع مشاريع كبيرة أيضاً نفّذتها في مواقع التراث السوري جامعات ومعاهد ومؤسسات غربية داعمة لأحلام "إسرائيل" وتطلعاتها، ومن هذه المشاريع ما سعى إلى تغيير الخارطة الأركيولوجية والجيوتاريخية السورية وحتماً السياسية، مثل مشروع ARCANE عامي ٢٠٠١/٢٠٠٣، الذي يراد به وضع تسلسل زماني لمناطق الشرق الأدنى القديم وشرق المتوسط، وقد قادت هذا المشروع كبرى المؤسسات و"الجامعات الإسرائيلية "بفريق علمي عمل معظم أعضائه في المواقع السورية، وهناك مشروع قواعد بيانات مدينة "إيمار" القريبة من حلب، عامي ٢٠٠٤/٢٠٠٧، وقد نفّذت هذا المشروع كل من جامعة "تل أبيب"، و "يورام كوهين" و "شمريط سالم "وجامعة "كونستانز" الألمانية وعمل فيه "لورنزو دوألفونسو" و "تنكرد كوف" و "ستيفان كمر"، أما أهم مكتشفات مدينة إيمار السورية فهي الألواح الكتابية المسمارية التي أُخرجت من سورية بموجب تنقيبات رسمية، ضمن أربع مجموعات، منها مجموعة موجودة في متحف أرض التوراة في "إسرائيل"!، ومجموعة أخرى لدى اليهودي الأميركي "جوناثان روزن"، وهناك مشروع ETANA وهو مشروع رقمنة لأرشيفات مواقع من الشرق الأدنى القديم ومنها "تل موزان" في محافظة الحسكة، وقد شاركت في المشروع جامعة "تل أبيب"، أما الجهة المموّلة فهي مؤسسة "أندريه وميلون" المموّل الرئيسي لـ"مركز التاريخ اليهودي"، وتطول قائمة المشاريع المشابهة، ولا يتسع المجال هنا لذكرها كلها، لكن ما نود تسليط الضوء عليه هو أن العابثين بتاريخ سوريا ومستقبلها، قد دخلوا إليها في السنوات السابقة من المطارات السورية، وعبر قاعات الشرف فيها، وهم يعرفون جيداً عما يبحثون، وما يريدون عمله، يستقبلهم في الجانب الآخر بعض المسؤولين فيها عن "الخراب الاستراتيجي" في سوريا، غير أنهم لا يريدون شيئاً سوى جني المزيد من الأموال، وحيازة أدوات السلطة، والتهديد بحرق ما تبقى من حاضر البلاد ومستقبلها، بعد أن باعوا تاريخها العظيم بشواهده وآثاره.

من مؤسسات عامة إلى سجون ومعتقلات

أيمن الأحمد

من مركز إيواء للنازحين إلى معتقل

قبل أن يتم تحويل مدرسة عدنان المالكي للتعليم الأساسي إلى مقر وسجن كانت تقيم فيه ثلاث عائلات نازحة، واحدة من /الرستن/ وعائلتان من /دير الزور/.

يشرح "أبو محمد" والذي كانت عائلته من بين العائلات التي تضررت من الاستيلاء على المدرسة: "في البداية دخلوا المدرسة واستقروا في بعض الغرف، وعندما حاولت أن أشرح لهم أن وجودهم يضايقنا، خاصة أن لدينا نساء وأطفال يخافون من منظر السلاح، أكدوا لنا أنهم لن يضايقوا أحداً منا، وعندما كررت الطلب لهم قالوا لي: "هذا المكان أصبح لنا، وإذا ما عجبك شوف محل ثاني" وبالفعل اضطررنا إلى الانتقال إلى مدرسة أخرى خاصة مع ازدياد التهديدات بالهجوم على المقر أو تفجيره"

ويضيف أبو محمد: "الحمد لله أننا انتقلنا لأنه لم تمضِ سوى أيام قليلة حتى تم استهداف مدرسة عدنان المالكي، بعبوة ناسفة زرعت بالقرب من غرفة حرس المقر، ذهب ضحيتها عدد من عناصرهم".

مشاريع حماية أم مشاريع سيطرة

تسيطر عناصر (YPG) التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، على العديد من الدوائر والمؤسسات الخدمية داخل مدينة الحسكة منها "دائرة البحوث الزراعية، مديرية الجمارك، أجزاء من مجلح الحسكة، ومدرسة عدنان المالكي" بينما تسيطر عناصر محسوبة على المكون العربي في الحسكة على المستشفى الوطني، ومؤسسة المياه، وإكثار البذار".

يرى أحد عناصر الـ(YPG) "أنهم يحمون تلك المنشآت من السرقة والتخريب، ويستشهد هذا العنصر بما حدث لدائرة الجمارك التي نُهبت بالكامل".

ويضيف: "نحن نحقق مصالح شعبنا، لدينا نظام سيء، ومعارضة أسوأ، والهجمات الأخيرة الموجهة ضدنا أكبر دليل على ذلك".

لكن أحد الموظفين (رفض الكشف عن اسمه)، في مديرية الموارد المائية والتي سيطرت عليها في وقت سابق الـ(YPG) يخالف ادعاء الحماية، ويقول: "مديرية الموارد من أغنى المؤسسات الحكومية في الحسكة خاصة أنها أشرفت وتشرف على مشاريع كبيرة ليس آخرها مشروع ري دجلة، وعندما استولت الـ(YPG) على المديرية تم سرقة غالبية الآليات الثقيلة، وتجهيزات المخابر والمكاتب من أجهزة حاسوب وغيرها، وتردد أن تلك الآليات نقلت إلى المالكية...، وإلى الآن وبعد خروجهم من المبنى نشاهد بعض سيارات المديرية يستقلها مسلحون تابعون لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي".

لكن في المقابل، لم يقتصر الاستيلاء على المؤسسات والمرافق الحكومية على عناصر الاتحاد الديمقراطي الكردي، فثمة جهات أخرى تسيطر أيضاً على مرافق عامة ومنها "عناصر حماية المنشآت العامة" المحسوبة على الطرف العربي في المدينة، والتي تسيطر على كل من المستشفى الوطني ومؤسسة المياه.

ويبين "أبو مصعب": أحد عناصر حماية المنشآت العامة: "إنه ومع تسليم النظام لعناصر العديد من المراكز الأمنية والمؤسسات الحكومية وتكرار حالات السرقة داخل المستشفى الوطني، طرحت فكرة حماية المستشفى من أجل تحريم استخدامها لفرض أمر واقع تحلم به بعض الأطراف".

بينما يرى "جوان(ناشط ميداني)": "إن المسألة هي جزء من كل متصارع يتسابق، ففي حالة الـ(YPG) هي كأي جماعة مسلحة أخرى، بغض النظر عن اتجاهها وسلوكها، هي تحاول السيطرة وكسب المزيد على الأرض بالسلاح، وغيرها يسيطر بذات الطريقة، مشكلتنا أننا نفتقد إلى حالة سورية خالصة حتى لو كانت مسلحة، وفي ظل هذا الغياب لتلك الحالة يبقى النزاع بين المكونات قائماً، ويثير الحساسية وربما الانفجار في أي لحظة".

ويعلق أحد الناشطين السياسيين على ذلك بالقول: "النظام لم يعد يمتلك القدرة على إدارة شؤون البلاد وبالتالي يحاول أن يجد من يقوم بمهامه لذلك فهو بالحسكة يتشارك مع بعض القوى القومية والعشائرية لضبط أوضاع المحافظة خصوصاً بعد سقوط بعض مناطقها بيد المعارضة المسلحة، فوجد النظام ضالته في الـ(YPG)، وفي بعض التشكيلات العشائرية العربية التي أدمجها بقوات الدفاع الوطني".

تحديد السلم الأهلي

السباق المحموم بين الأطراف المتعددة للسيطرة على بعض المؤسسات العامة، شكل تهديداً متزايداً لبنية التركيبة المجتمعية المعقدة والمرتبكة أصلاً في الحسكة، خاصة وأن سيطرة مكون واحد على مؤسسة عامة يثير حساسيات دينية وقومية، كون النظام حوّل تلك المذاهب والقوميات على مدى سنوات عديدة إلى مجرد كسور، تتبادل الشك والريبة فيما بينها، مما تسبب في حالات كثيرة بتهديدٍ للسلم الأهلي في المدينة، حيث شكلت أحداث حي الناصرة في التاسع من نيسان الماضي، ذروة التصادم على المؤسسات العامة في الحسكة، بعد أن سلم النظام مديرية الموارد المائية لعناصر الـ(YPG)، وهو ما اعتبره أبناء حي المعيشية المجاور للمديرية استكمالاً لحصار حيهم.

يقول "أبو جهاد" أحد سكان حي المعيشية: "بعد تسليم النظام مديرية الموارد المائية (شمال الحي) شعر سكان الحي أنهم مستهدفون من تلك الخطوة، بعد أن سلمهم في وقت سابق البحوث الزراعية(غرب الحي) خاصة وأن الخطوة جاءت استفزازية بعد استهداف عناصرهم المتواجدين في مقر تابع لهم (شرق الحي) في وقت سابق لمظاهرة سلمية –كانت تطالب بعودة التيار الكهربائي المقطوع عن الحي– بالرصاص الحي، مما أدى إلى استشهاد ثلاثة شبانٍ من الحي بينهم طفل، وجرح العشرات"

ويضيف "أبو جهاد": بعد محاولات ووساطات فاشلة لإخراجهم من المديرية بشكل سلمي، وإزالة حاجزهم من أمامها، ما كان من أبناء الحي سوى محاولة إخراجهم بالقوة، الأمر الذي أدى إلى وقوع عدد من القتلى من المسلحين والمدنيين معاً".

بينما يحمل أحد الناشطين "النظام والمعارضة على حد سواء مسؤولية تدهور السلم الأهلي في المحافظة وإثارة النعرات بين المكونات".

ويرجع ذلك الناشط السبب في تكرار مثل تلك الحوادث إلى "تسليم النظام بعض المناطق بشكل كامل إلى الـ(YPG) وإلى خطأ المعارضة المسلحة الفادح بدخولها إلى رأس العين وسوء إدارتها للمدينة".

يذكر أن أحداث حي الناصرة والتي شكلت نموذجاً بشعاً للصراع على المؤسسات العامة انتهت بمقتل العديد من أبناء الحي ومن عناصر الـ(YPG) بعضهم أبناء نفس الحي، ولم يسيطر أي من الطرفين على المؤسسة المذكورة، لأن عناصر الأمن أحست بخطورة الموقف (عليها طبعاً) وقررت استرجاع المديرية من عناصر الـ(YPG) وذلك ما حصل بهدوء تام!!.

العيد في درعا.. الحاضر الغائب بين أهلها

سارة الحوراني – درعا

عيد وبأيّ حال جئتَ يا عيد، قصفٌ وقنصٌ وقتل وتشريدٌ .. هكذا كان العيد في محافظة درعا..

لم يحمل عيد رمضان الشيء الكثير لأهالي درعا، إلا مزيداً من الألم على حبيب تحت التراب، أو معتقل في سجون النظام، أو مُهجَّر خارج أسوار الوطن، أو جريحٍ بات عاجزاً.

صورٌ كثيرةٌ للمأساة الإنسانية والاجتماعية لا يمكن عدها أو حصرها تعبر عن قسوة الواقع، وغيابٌ لمظاهر العيد على الرغم من المحاولات اليائسة للأهالي لرسم الفرح على وجوه الأطفال، فغابت رائحة خبز العيد لتحتل مكانها رائحة البارود التي أزكمت أنوف الأهالي، وحتى زيارة القبور باتت تشكل مغامرة خطرة وبالغة الصعوبة لبعض العائلات..

قصف متواصل منذ ساعات فجر العيد

شهدت معظم مدن وقرى وبلدات محافظة درعا قصفاً عنيفاً منذ ساعات العيد الأولى، فتراجمت أصوات الانفجارات حناجر الأهالي في التكبيرات، والتي صدحت في السماء معلنة بشكل رسمي قدوم العيد، فمن /درعا/ جنوباً وحتى /نوى/ شمالاً مروراً بمدينة /الحارة/ في الشمال الغربي، والتي اقتحمت ضمن عملية عسكرية وحشية استخدمت فيها طائرات المِغ، والقصف العنيف بالراجمات والمدافع التي مهدت لعملية الاقتحام العنيفة، وارتُكب بحق أهلها العديد من المجازر التي لم تكشف تفاصيلها حتى اللحظة، نظراً لإغلاق المنطقة واعتبارها منطقة عسكرية مغلقة من قبل قوات النظام، إلى /نوى/ المنكوبة والتي تعرضت بدورها لقصف عنيف هي الأخرى بالطائرات والمدافع، ليسقط شهداء وجرحى فيها، من بينهم الشهيد الطفل "عمر منصور شحادة عمارين" والذي لم يرتدِ ملابس العيد، فمدينته تتعرض لقصف عنيف منذ أكثر من عشرين يوماً استشهد على أثره العديد من الأهالي من ضمنهم عائلات بأكملها، ونتيجة لذلك نزح الكثير من الأهالي سيراً على الأقدام إلى مدن وقرى وبلدات في حوران، أما مدينة درعا فقد تعرضت الأحياء التي يسيطر عليها النظام إلى عمليات الاقتحام وحظر التجوال، ومارس القناصة هوايتهم في حصد الأرواح، وكانت غلتهم وافرة، في حين قُصفت أحياء درعا البلد وطريق السد المحررة، وأسفرت العمليات العسكرية خلال أيام العيد الثلاثة عن سقوط ٣٩ شهيداً من بينهم ستة أطفال والعشرات من الجرحى..

وضع اقتصادي صعب أثقل كاهل المواطنين

شكل الوضع الاقتصادي الصعب ضغطاً هائلاً على الأسر لتأمين بعض احتياجات العيد وأهمها ملابس الأطفال، فارتفاع الأسعار كان كبيراً مقابل شح في المنتجات، وخاصة في المناطق المحررة في مدينة درعا، وكثير من العائلات عجزت عن شراء ملابس العيد لأطفالها جميعاً، ومنهم من اكتفى بشرائها لطفل أو طفلين فقط، ومن هؤلاء عائلة (أبو محمد) الموظف، والذي فقد عمله وبات عاطلاً عن العمل، وعاجزاً عن تأمين احتياجات البيت الأساسية فكيف بملابس العيد، يقول: "إنه لشيء مؤلم أن يأتي العيد ولا يكون قادراً على شراء ملابس لأطفاله الذين ينتظرونه بفارغ الصبر، ومنذ أكثر من عام ونصف ترك وظيفته في إحدى الدوائر الحكومية، وعمل كعامل حر في عدة حرف، لكن صحته لم تعد تسمح له بالاستمرار، وبات عالة على غيره من الأقارب وبعض الخيرين الذين يساعدونه كلما توفرت لهم المقدرة على ذلك".

إلا أن الظروف باتت صعبة على الجميع، فمن كان غنياً بات يعيش على الكفاف بعد مرور أكثر من عامين ونصف العام من عمر الثورة، والجميع تضررت مصالحه، ومن كان يملك متجراً في الأسواق التجارية التي باتت مهجورة اليوم أصبح بدوره عاطلاً عن العمل، واستنفذ كل مدخراته التي نجت من عمليات السرقة خلال الاقتحامات المتكررة.

أمهات الشهداء.. الحاضر الغائب في الأعياد

"أم أحمد" من الأمهات التي زفت شهيداً غالياً على قلبها، حيث خطفته رصاصة قناص غادرة من بين يديها، ليدفن في مقبرة بعيدة عن منطقة سكنها وفي الأحياء المسيطر عليها في درعا المحطة، ولم تزر أم أحمد ابنها الشهيد من قبل، فهي تجهل قبره ومكان تواجده، ومع اقتراب العيد بدأت بالتحضير للزيارة المرتقبة واشترت بعض الحلوى التي اعتاد ابنها على شرائها في أيام الأعياد لتقوم بتوزيعها على روحه، وصنعت القهوة المرة أيضاً لكنها لم تخبز خبز العيد كنوع من الحداد على فقدان الأحبة.

تقول "أم أحمد" والدموع لا تزال تنهمر من عينيها: "إن الشوق لفلذة كبدي لا يكاد يضاهيه شوق، ومنذ أن اخترقت الرصاصة جسده اخترقت روحي التي غادرتها مع جثمانه، ولا تزال تأبى العودة لها منذ أكثر من ستة أشهر، لقد اشتريت الأشياء التي يحبها وخاصة الحلوى وبعض الملابس له، ووزعتها على الفقراء والمحتاجين، انتظرت اليوم الثاني من العيد حتى استطعت زيارة قبره، غابت الكلمات والعالم من حولي لحظة احتضاني لقبره، هو في الداخل جسدٌ لكن روحه ترافقني في كل نبضة لي في الحياة"" ولفتت "أم أحمد" إلى أن مشاهد الأعداد الكبيرة من القبور وخاصة لشهداء الثورة تعكس حجم الألم الذي يعيشه الأهالي اليوم، فكل بيت بات فيه شهيد أو معتقل أو مفقود أو حتى مصاب.. فدرعا بل سوريا كلها منكوبة بأبنائها، وأيّ عيد سيأتي علينا في المستقبل القريب سيكون حزيناً مهما حاولنا صناعة الفرح..

كان المنظر في مقبرة الشهداء بدرعا البلد التي ضمت رفات شهداء الثورة مخيفاً للوهلة الأولى، وكانت شبه خاوية فيما لو قورنت بالسنوات الماضية لوقوعها بالقرب من منطقة العمليات العسكرية، فكان الناس يأتون على عجل ويغادرون مسرعين بعد زيارة خاطفة للقبور خوفاً من القصف الذي لم يتوقف لحظتها، ولم تسلم منه القبور أيضاً..

الأطفال والعيد

وحدهم الأطفال من رسم صور العيد، على الرغم من فقدان الأهل والأحبة إلا أن العيد واصل مروره عليهم، ومنحهم من هداياه ما استطاع إليه سبيلا، حيث انتشرت في بعض الأحياء والأزقة الآمنة نوعاً ما بعض الألعابُ، وخاصة أرجوحة العيد، والبسطات الصغيرة التي احتوت على القليل من الألعاب والدمى، وتعالت ضحكات الأطفال التي غطت على أصوات القصف والاشتباكات في المناطق المجاورة ..

الطفل "عامر .م" ابن شهيد، كان يلعب مع أقرانه مرتدياً ملابسه الجديدة، ومع ذلك ظهر الشوق لوالده من خلال متابعته للأطفال الذين يسيرون مع آبائهم عندما تحدثنا إليه، في البداية كان خجلاً لكنه تحدث بكلمات عبرت عن هموم كبيرة وألم جاهد كثيراً لإخفائه، مشيراً إلى زيارة قبر والده الشهيد مع أفراد الأسرة وقراءة الفاتحة، ووضع بعض الورود على القبر.. من ثم زار منزل أقاربه، وبعد أن حصل على العيدية جاء مع أصدقائه للّعب في المرجوحة، وشراء بعض الألعاب له ولأخوته الصغار.. هرب عامر بعد هذه الكلمات حاملاً ألعابه ومخفياً وجعه ..

لم تقتصر المعاناة على أهل الداخل بل أن اللاجئين والنازحين والمشردين كانت معاناتهم مضاعفة وخاصة بعد أن فقدوا كل شيء من منازل ومتاجر ومزارع وحتى أبناء وآباء، يعيشون في ظروف صعبة ونقص حاد في كل شيء، من طعام ودواء وكساء وسط عجز كبير من المؤسسات والمنظمات الإنسانية عن مساعدتهم لتنتشر الأمراض والأوبئة بينهم..

الطّريق إلى دير الزّور..

محمد المحمود– دير الزور

كنا قد زرنا المدينة في وقت سابق، وتعرفنا على ثوارها ومجلسها المحلي الذي يعمل بجهود مضاعفة بسبب شح المواد الإغاثية والطبية.. هذه المرة نحن ذاهبون بطلب منهم على اعتبار أنه يتم التجهيز لاقتحام معاقل النظام وحواجزه التي لم تهدأ عن قصف المدينة منذ شهور طويلة، وبالتالي فإنّ أعداداً كبيرة من الجرحى بدون مستشفيات أو أي خدمة طبية ترقى إلى مستوى الإصابة.

تم التوجه من تركيا إلى مدينة دير الزور صباح يوم الجمعة ٩ من آب/أغسطس محاولين تفادي الوقوع في خطأ، يوم العطلة تكون الحدود فيه مغلقة فنضطر إلى أن نسلك طرقاً غير شرعية عدة كيلو مترات مشياً على الأقدام في درجات حرارة مرتفعة.

عند الوصول إلى مشارف دير الزور يبدأ مسلسل الخطورة حيث فرع الأمن السياسي الذي يعتبر بمثابة قاعدة عسكرية مطلة على الطريق الذي نسلكه والذي أودى بحياة الكثير من المدنيين والعسكريين السالكين لهذا الطريق، يتم قبل المرور من ذلك الشارع اتخاذ بعض الإجراءات، جمع كل ما نملك من حقائب ومعدات على يمين السيارة كنوع من الاحتراز وتخفيفاً لطلقات القناص التي يمكن أن تخترق جدار السيارة المصنوع من الفيبر، ربما بنسبة ٥ بالمئة، إضافة إلى إطفاء أنوار السيارة حتى تغطية الأنوار الصادرة عن الكيلو متراج وبعض الأزرار الضرورية.. هنا تمشي السيارة بسرعة قصوى لمدة دقائق حتى يتم استقبالنا من الجهة الغربية ليقولوا لنا "الحمد لله عالسلامة" للمرة الأولى، وهناك بعد حاجز الثوار بعدة أمتار جسرٌ عملاق تم قصفه لأنه وقع في يد الثوار، وبالقرب منه جسر حربي صنعه الثوار، يستند إلى أربعة عوارض حديدية متواضعة وجسر حديدي مدعم بالخشب المكسر والضيّق لمرور سيارة كسيارة الإسعاف، حيث أن أي خطأ ممكن أن يوقع السيارة لأن المسافة الزائدة عن حجم السيارة هي حوالي العشرين سنتمتر إضافة إلى أنه مطل على قناص أيضا، بالمقابل يتم استقبالنا للمرة الثانية والترحيب والحمد لله عالسلامة مرة أخرى.

ندخل المدينة بسلام، لكن لم يتبق من السلام في هذه المدينة سوى أنصاف الأبنية التي يكاد لا يخلو كل حائط من بيوتها من آثار الرصاص، والتي تكاد لا توجد فيه شجرة من دون أن تكون مصابة بالرصاص أحياناً لحد وقوعها هي الأخرى.

تصوير: محمد محمود

بعد أخذ قسط من الراحة يمتد بين الحادية عشرة والنص ليلاً إلى الرابعة والنصف صباحاً (في هذه الأثناء يتم التجهيز لضرب معاقل النظام، و تحرير منطقة الحويقة الاستراتيجية بالنسبة لدير الزور حيث أن هناك جسر إسمنتي يمكّن سيارتين من المرور في وقت واحد، وهذا أمر عظيم بالنظر إلى الجسر السابق ومخاطر الانهيار في أي لحظة، ناهيك عن الإطلالة على القناص الذي لا يفرّق بين كبير وصغير، مدني أو عسكري رجل أو امرأة.

تبدأ المعركة التي لا تشعر ببدئها فوراً لأن أصوات القصف لا تهدأ على أيّ حال، لكن الفرق هو أنه بات هناك نوع من الرد من قبل الثوار إضافة إلى ازدياد القصف ليصل إلى حدٍّ جنوني، إضافة إلى عدد الجرحى الذي وصل يومها إلى ٦٠، رافقنا بعضهم "من المحظوظين، إذ لا يوجد عدد كاف من سيارات الإسعاف" إلى مستشفى الميادين بسبب عدم استطاعة مستشفيات دير الزور معالجة أي مصاب، حتى لو كان بطلق ناريٍّ عادي.. استشهد في ذلك اليوم ٢٣ شخص، تم التعرف على ١٩ و الأربعة الآخرون كان من الصعب التعرف عليهم لعدة أسباب..

بعد ذلك، رافقت أحد الأصدقاء في جولة إلى المدينة الجميلة سابقاً، وصعدنا أحد الأبنية المرتفعة لنرى ما يحزن القلب من حطام، ابتداءً بالبناء الذي استخدمنا أدراجه، وليسَ انتهاءً بالإطلالة التي تقول لك: كنتُ جميلة في يوم من الأيام، حيث الجسر المعلق الذي تم استهدافه بصواريخ جعلته قطعاً معلقة في الهواء تبكي الدمار الذي حل بالمدينة، وتختصره، وجسرٌ آخر سبق وذكرته تحرر قبل ساعات يركض عليه الناس لأنه ما زال حتى لحظتها مستهدفاً ومطلاً على الجبهة المشتعلة بالحويقة.

وفي حديث مع الثوار الذين كانوا يداً واحدة في المعركة، إسلاميين وسوريين (وطنيين) من ريف ومدينة، وبعد سؤالنا لهم: ماذا بعد الحويقة؟ (لأنه لم يبق سوى مناطق مكتظة بالسكان المدنيين، و بينهم يتمترس النظام براجماته وآلياته مدججاً بذخيرة يحلم الثوار الحصول على ١٠ بالمائة منها ربما لتحرير شرق سوريا)، هنا تتباين الأجوبة بين من يريد أن يكمل ما بدأ به مهما كلف الأمر، وبين من يريد أن يفكر في مصير أهله في المناطق المسيطر عليها من قبل النظام، بالإضافة إلى القابعين في سجون النظام، فمن الممكن تصفيتهم في حال بدأ الجيش الحر بعملية التحرير أو أحس النظام أنه سيفقد سيطرته على المناطق التي يغتصبها.

قبل الانتهاء من محاولة اختصار الوضع

النفط، الذي تحول إلى نقمة تهدد المنطقة برمتها بالأوبئة بسبب تكرير النفط بطريقة بدائية، حيث بالإمكان رؤية ذلك في طريق الذهاب إلى الميادين، فالحرّاقات كما يسمّيها أهل دير الزور، والشاحنات الصغيرة المخصصة لنقل النفط باتجاه الغرب والشمال الغربي في طريقه إلى التصدير غير الشرعي، ناهيك عن من يسيطر على تلك الآبار من مجموعات مسلحة.. السيطرة على النفط في الغالب تكون لصاحب الأرض التي يتواجد بها بئر النفط.. بعض آبار النفط تسيطر عليها مجموعات إسلامية، وبعضها مجموعات أهلية من المنطقة ذاتها، وهنا يمكن القول إن جزءاً يسيراً من عائدات النفط يذهب لدعم الثوار، مع أنه دعمٌ لا يستحق الذكر وهو عشوائي وكيفي.

دير الزور، أمام معارك عديدة، بعضها يتعلّق بتحرير ما تبقّى من المناطق، وبعضها تمخّضت عن التّحرير والظرف الأمنية الاستثنائية مثل نقص الغذاء والدّواء، وانتشار الأمراض من تيفوئيد وكوليرا بسبب عدم توفر المياه الصالحة فعلياً للشرب، إضافة إلى الأطفال وحاجتهم إلى اللقاح من الأمراض المميتة التي أضحت دير الزور حاضنة لها بسبب الحصار و عدم توفر آلية للتخلص من القمامة، وآبار النفط التي زرعت حولها أسلحة قد تفوق تلك التي استخدمت في معركة تحرير الحويقة.

الصورة التي تسببت بالجدل في المواقع الاجتماعية ..

الصورة الأولى: المقصود بما هو نقد ما نُشِرَ عن رجال الكنيسة من استباحة صغار السن (البيدوفيلي في الفاتيكان).

الصورة الثانية: تتعلق بموضوع الاعتداء على الأطفال في هيئة السياحة في تايلاند.

الصورة الثالثة: تشير إلى الحروب وظلم الأطفال، حيث لا دخل لهم فيها.

الصورة الرابعة: تشير إلى تجارة الأعضاء، والأجهزة في السوق السوداء حيث يكون أول الضحايا هم الأطفال من أشد البلدان فقراً.

الصورة الخامسة: تشير إلى الأسلحة الجانية والعصابات والمافيات المتعددة في الولايات المتحدة.

وأخيراً، الصورة السادسة: موضوع السّمنة التي سببتها كبريات شركات الوجبات السريعة، والتي ما يزال ضحيتها هم الأطفال.

الصورة لايريك رافيلو

للوقاية من غاز السارين

مغادرة المنطقة:...

١. مغادرة المنطقة التي تم إطلاق السارين فيها إلى منطقة فيها هواء نقي.

٢. في حال كنا في مبنى علينا مغادرة المبنى بالكامل. ٣. غاز السارين غاز أثقل من الهواء ويبقى في المناطق المنخفضة، علينا المسارعة إلى أعلى مكان ممكن. أسطح .. طوابق علوية

. الملابس:

١. إذا اعتقد الناس أنهم قد تعرضوا للغاز، ينبغي أن يخلعوا ملابسهم، ويغسلوا الجسم كله بسرعة بالماء والصابون، و يجب أن يتلقوا الرعاية الطبية في أسرع وقت ممكن.

٢. الملابس التي عليها السارين السائل يجب التخلص منها بسرعة وأي ملابس تلبس عن طريق فتحة للرأس (قبة) يجب أن يتم قصها وسحبها من الجسم بدلاً من تمريرها عبر فتحة الرأس- إذا كان ممكناً- يجب وضع الملابس في كيس بلاستيك ثم وضع كيس البلاستيك الأول في كيس بلاستيك آخر، وإزالة الملابس بهذه الطريقة تساعد على حماية الناس من أي من المواد الكيميائية التي قد تكون على ملابسهم.

٣. يجب أن لا تلمس الأكياس البلاستيكية باليد أو تعرض الجلد لها.

٤. في حال مساعدة الآخرين لخلع ملابسهم، يجب محاولة تجنب لمس أي من المناطق الملوثة وإزالة الملابس بأسرع وقت ممكن.

الجسم:

١. يجب غسل أي أثر للسارين السائل من الجلد في أسرع وقت ممكن بعد التعرض للسارين، باستخدام كميات كبيرة من الماء والصابون، الغسل بالماء والصابون يساعد على حماية الناس من أي مواد كيميائية متواجدة على أجسادهم.

٢. يجب غسل العينين بالماء لمدة ١٠ إلى ١٥ دقيقة إذا كانت العيون تحرق أو إذا كانت الرؤية غير واضحة إثر التعرض للمواد الكيميائية.

٣. إذا تم ابتلاع السارين يجب أن لا تقوم بتحريض القيء أو إعطاء سوائل للشرب، ولكن يجب تلقي العناية الطبية على الفور.